سوف يبيعوننا نصف الكميات بضعف الأسعار

درس في اقتصاد 101 من الحرب الروسية الأوكرانية

2022/2/26

يلفت النظر في الحرب التي تدور رحاها هذه الأيام بين روسيا وأوكرانيا تفنن الغرب في العقوبات التي يفرضها على روسيا لردعها عن احتلال أوكرانيا، وكان من بينها محاولة فرض حظر على النفط والغاز الروسيين. وقد بدأت أسعار النفط والغاز ترتفع فعلاً وبشكل غير مسبوق خلال الفترة الماضية تحسباً لانقطاع الإمدادات من هذه العناصر الهامة من الطاقة، حيث قفز سعر النفط الخام إلى ما يزيد عن المائة دولار للبرميل في الأسبوع الماضي وقفز سعر الغاز بأكثر من 60 في المائة. ومع ذلك، استثنت الدول الغربية النفط من قائمة العقوبات. وقد حيّر ذلك بعض المراقبين والمتابعين، خصوصا وأن قطاع الطاقة هو عصب رئيسي للاقتصاد الروسي. فلماذا إذن تم استثناؤه؟

سأضطر بداية لتبسيط نظرية اقتصادية يتم تدريسها لطلبة سنة أولى اقتصاد حول ما يسميه الاقتصاديون "مرونة الطلب على السلعة". تعودنا أن نميز لطلبة اقتصاد 101 الفرق بين السلع التي يكون الطلب عليها مرناً والسلع التي يكون الطلب عليها غير مرن. في السلع ذات الطلب عالي المرونة، تكون نسبة التغير في الكمية أكبر من نسبة التغير في السعر، وبالتالي يؤدي ارتفاع السعر بنسبة معينة إلى انخفاض في الكمية المطلوبة بنسبة أكبر، مما يعني انخفاض الإيرادات التي يحصل عليها المنتجون لتلك السلعة نتيجة ارتفاع السعر. والعكس صحيح في حالة السلع ذات الطلب غير المرن. وهنا يأتي المأزق الذي وجدت الدول الغربية نفسها تواجهه. فالطلب على النفط والغاز غير مرن لأن النفط والغاز والكهرباء تعتبر سلعاً ضرورية ليس لها بدائل جيدة، وهذا يعني أن ارتفاع أسعارها سوف يزيد من إيرادات المنتجين لها، وبالمقابل سوف يلحق الضرر بالمستهلكين لأنهم سيدفعون مبالغ أكبر للحصول على نفس الكميات التي كانوا يحصلون عليها قبل ارتفاع الأسعار.

ماذا يعني ذلك بالنسبة لروسيا والغرب؟ روسيا بلد منتج للنفط والغاز، وبالتالي سوف تستفيد من ارتفاع أسعار هاتين السلعتين. بالمقابل، الغرب مستهلك للنفط والغاز، وبالتالي سوف يعاني من ارتفاع أسعار هاتين السلعتين. فإذا فرضت الدول الغربية حظراً على هاتين السلعتين، فإن ذلك سيقلل المعروض منهما في السوق مما سيدفع بالأسعار إلى الأعلى، وهو ما يعود بالفائدة على روسيا ويلحق الضرر بالدول الغربية التي ستدفع أسعار أعلى لهذه السلع، وهو ما لخّصه أحد المستشارين الاقتصاديين لبعض السياسيين الغاضبين في أوروبا بالقول "سوف يبيعوننا نصف الكميات بضعف الأسعار". وهنا توقف الحديث عن فرض حظر على النفط والغاز الروسيين.

بالنسبة لنا في فلسطين، نحن نستورد النفط والغاز، وسوف ينعكس ذلك على أسعارهما التي ستقفز بشكل ملحوظ خلال الفترة القادمة، وسوف ندفع ثمن حرب لا ناقة لنا فيها ولا بعير، سوى مقاربة مليئة بالإحباط والأسى ونحن نقارن سلوك الغرب، وبالذات أمريكا وأوروبا، وهي تذرف دموع التماسيح على ما تسميه "احتلال روسيا لأوكرانيا"

وتتفنن في فرض عقوبات اقتصادية وسياسية شديدة على المحتل (روسيا)، بينما لا تذرف دمعة واحدة، بل وتغض الطرف عن احتلال إسرائيل للأراضي الفلسطينية منذ خمسة وخمسين عاماً. لا يعني ذلك أننا لا نتعاطف مع الشعب الأوكراني الذي يعاني من ويلات الحرب واحتمالات الاحتلال، ولكننا نلفت النظر إلى الازدواجية والنفاق اللذين يظهرهما الغرب الذي يمارس المثل العليا في الإعلام وعلى صفحات التواصل الاجتماعي ويبصقهما حين تتهدد مصالحه أو مصالح حلفائه.

هناك الكثير من الدروس التي يمكن أن نتعلمها من هذه الحرب اللعينة، ليس فقط في الاقتصاد بل وفي السياسة والأخلاق، ولعل أبزرها الدرس الذي تعلمناه ورددنا في الصغر ونسيناه أو تناسيناه عند الكبر وهو، ببساطة، إن "ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة".